

الفصل التمهيدي

مقدمة :

يتميز إقليم دارفور بتباين موارده البيئية والبشرية ، فهو متنوع من حيث التضاريس والمناخ ، وكل هذا له انعكاسات على توجهات سكان الإقليم ونشاطهم البشري .

كما يحتوى الإقليم على مجموعات متباينة من العناصر البشرية ، فهناك قبائل عربية وقبائل إفريقية عاشت بجانب بعضها البعض دون أية صراعات ، ودون أية تعصب بسبب اللون أو العنصر .

وفي الفصل التمهيدي دراسة مدخلية لإقليم دارفور من الناحية الطبيعية ومن الناحية البشرية .

١- جغرافية دارفور

يقع إقليم دارفور غرب جمهورية السودان بين دائرتي عرض ١٠°، ١٦° وخطي طول ٢٢°، ٢٧° ، وتبلغ مساحة الإقليم حوالي (٥١٠٨٨٨) كيلو متر . أى : ما يعادل خمس مساحة السودان .

أما عن امتداد الإقليم فيمتد من بئر النطرون في الصحراء الكبرى شمالاً ، حتى بحر العرب جنوباً . ومن كردفان شرقاً حتى الحدود مع دولتي ليبيا ، وتشاد^(١) غرباً . وقد كان لامتداد حدود إقليم دارفور أثر كبير على الإقليم . فامتداد الحدود جعل الإقليم حلقة وُضِل بين منطقة السودان الأوسط (تشاد ، وأفريقيا الوسطى) وبين السودان وادي النيل .

(١) رجب محمد عبد الحلیم : العروبة والإسلام في دارفور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة . ص ١٦ .

دارفور (التاريخ والصراع والمستقبل) _____
ولذلك كان الإقليم من أهم المراكز التجارية في العصور الوسطى وفي مطلع القرن العشرين .

ويتميز إقليم دارفور بتباين وتنوع في التضاريس ، ففي الشمال منه تمتد الصحراء التي تتخللها أودية ومجموعة من التلال ، تتعرض لكمية أمطار قليلة لا تزيد عن عشر بوصات مما ساعد على نمو الأعشاب التي تصلح للرعى ، أما القسم الأوسط من دارفور فعبارة عن مناطق جبلية ورملية في الطرف الشرقي والغربي . وتتعرض لكمية مطر أكثر نسيباً . وتتراوح كمية الأمطار من ١٢ بوصة إلى ٢٥ بوصة فوق جبل مرة . أما القسم الجنوبي فيتميز بكثرة الأمطار التي تساعد على انتشار الحشائش الطويلة ، والتي تصلح لتربية الماشية ويبلغ متوسط الحرارة ما بين ٢٥ : ٣٥ درجة^(١) .

وكما تتباين التضاريس في دارفور ، يتباين المناخ أيضاً . فالحرارة ترتفع في شمال الإقليم مع ميل للانخفاض في القسم الجنوبي ، ونتيجة هذا التنوع المناخي كان له الأثر على النبات الطبيعي .

فتنمو الأشجار الحولية والتي تتحمل العطش في الإقليم وأشهر هذه الأنواع شجر السنط ، وشجر الطلح . مع وجود أشجار مثمرة مثل النخيل ، والليمون ، والموز ، والنبق . ويوجد شجر يسمى التيلدى له القدرة على اختزان مياه الأمطار في سيقانه ، ويعتبر خزاناً للمياه الجوفية^(٢) .

وقد أدى التنوع في التضاريس إلى تنوع الأنشطة الاقتصادية للسكان وأدى إلى فرض نوع من الحماية للسكان ، كما أدى إلى سهولة الاتصال بين دارفور وجيرانها . مما أدى لتنوع سكانى في الإقليم .

(١) رجب محمد عبد الحليم : مرجع سبق ذكره. ص ٢٠ : ٢١

(٢) رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق. ص ٢٤

٢- سكان دارفور

تعيش في إقليم دارفور مجموعات سكانية مختلفة ، ولكن تندرج تحت مجموعتين رئيسيتين وهما : القبائل الإفريقية ، والقبائل العربية . ومن أشهر القبائل التي تعيش في دارفور .

أولاً : مجموعة القبائل الغير عربية :

١- الداجو :

يوجد اختلاف بين المؤرخين حول أصل قبائل الداجو . وأصل الخلاف في مكان القدوم ، فمنهم من يرى أنهم سكان دارفور الأصليون ، ومنهم من يرى أنهم قدموا من منطقة شمال أفريقيا . وهناك رأى يقول أنهم أتوا من منطقة النيل وسكنوا جنوب دارفور . واستطاعوا التغلب على السكان المحليين وكوّنوا مملكة .

وينتشر الداجو في كل ولايات دارفور ويتركزون في نيالا ، وأم كردوس وكاسي . ويعملون بالزراعة . وهم يتكونون من بطون عديدة تنقسم بدورها إلى أقسام^(١) .

وينقسم الداجو إلى قسمين وهما داجو ليوفي . وينقسمون إلى أربعة بطون وهي ليوفي . بنو فولفى وينحصر في هذين البطينين الرئاسة والزعامة . ومن البطون شمو توركى . وداجو كردكية وهم يعملون بوظائف السلطنة . وكمستشارين .

والقسم الثانى من الداجو هم داجوبا بوفى ويُعرفون بأولاد الجنادية ويكون منهم نائب السلطان ، ويحكم في حالة وفاة السلطان ، وينقسمون أيضاً إلى قسمين وهما نوفو نقيه وهم يمثلون الرئاسة الدينية عند الداجو . واجوتما لنبنجى ومسئوليتهم توزيع الصدقات . أما الداجو في نيالا فينقسمون إلى قسمين وهما تروج ويتكونون من ثنتا عشر دملج ، والميرى ويتكون من خمسة دمالج . والدملج هو رئيس مجموعة صغيرة تتكون من عدة

(١) التونسي تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان . تحقيق / مصطفى محمد مسعد : المؤسسة المصرية للتأليف والنشر القاهرة . ١٩٦٥م . ص ١٣٨ .

دارفور (التاريخ والصراع والمستقبل) —————
بطون قليلة من ٤ : ٥ بطون . ورئيس الدمالج يسمى سمبي . ونظام الدمالج نظام
متوارث منذ نشأة مملكة الداو الأولى ، وسلطة الدمالج أعلى من سلطة العمدة .

٢- قبيلة الزغاوة :

اختلف في أصل الزغاوة بين المؤرخين ، فمنهم من يرى أن الزغاوة ينحدرون من
العرب العاربة عرب الجنوب ، وينسبون لقبائل حمير . وقد هاجروا قبل الإسلام بقرون
واختلطوا بقدماء المصريين والنيليين ، وكان من نتائج اختلاطهم بالقبائل ضياع لغتهم
وأصبحت لهم لغة تسمى الرطانة^(١) .

والرأى الآخر الذى يتحدث عن أصل الزغاوة يقول أنهم هم سكان ليبيا الأقدمون .
واتصلوا بالحضارات الفينيقية ، والمصرية ، والنوبية ، والزغاوة القدماء لم يتبق منهم إلا
عدد صغير يعيش في عزلة ويسمون الحداحيد ، ويعيشون في معزل عن بقية
الزغاوة ولا يتزوجون منهم .

ويطلق الزغاوة على أنفسهم لقب (برى)^(٢) وينقسمون إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهى
الوينى ولهم سبعة فروع رئيسية وهى التوار الأرتاح . القلا . التيفير . أولاد دقيل .
الكجر . الكايتشفا .

والقسم الثانى من الزغاوة هم التوباء (البدايات) وفروعهم كثيرة جداً ، والقسم
الثالث البواراء وهم زغاوة الكيبي . وفروعهم كثيرة أيضاً .

أما فروع الزغاوة فأشهرهم زغاوة النوار ، وأكبر عشائرتهم العقايا ومنها انحدر
ملوك الزغاوة . كما ينقسم زغاوة نوار إلى العقايا بامبرو ، إيلاء كاوام ، إيلاء دقيل ، إيلاء

(١) محمد صالح أيوب : الدور الاجتماعى والسياسى للشيخ عبد الحق الترمجى جمعية الدعوة الإسلامية ،
طرابلس ليبيا . ص ٤٤

(٢) محمد صالح أيوب : المرجع السابق . ص ٤٥

دورى ابينة ، تاوفى . وهناك أربع عشائر من الزغاوة البدايات تنسب إلى توار وهم دوروارا، إقبغا بروفقة - كورى .

وبالنسبة لزغاوة الأرتاح فينقسمون إلى ستة فروع وهم بيرجى ، أبلا مسل ، تافو كورى ، لوفن ، دنقادى ، أولاد إدى وهم ينسبون للزغاوة القادمين من ليبيا .

وزغاوة البدايات ، وهم فرع كبير ويرى البعض أن الاسم يرتبط بالبادية ، والترحال . وينحدرون من قبيلة البتو وهى قبيلة تعيش فى ليبيا ، السودان ، وتشاد ، وينقسمون إلى أقسام وهى قلى قيرقى فى منطقة فوراوية : بروفات ويُنسبون إلى القرعان . وكود باراء أردبيه وموطنهم شمال شرق تشاد . سقر قراء ولهم ثلاثة بطون وهى بيكى ، أقوسمى ، ما بقيراء .

ومن فروع الزغاوة أولاد دقيل . ويكونون مع العقاب ، وابلادورى ، إبلاء كادلو ، ونفوى .

ومن فروع الزغاوة أيضاً زغاوة القلا وهم من الفروع الرئيسية وحاضرهم كرنوى . ولهم ستة عموديات .

ومن الزغاوة أيضاً زغاوة الكاينغا ، وينحدرون من أولاد تاكو ومنطقتهم الرئيسية كبورو فى دار قلا شرق كرنوى . وأيضاً من فروع الزغاوة زغاوة كحجر زغاوة الكوى .

وبعد العرض الذى قدم عن قبائل الزغاوة ، يبقى قصة انحدارهم من أصول عربية . فالزغاوة ككل القبائل الإفريقية التى شاركت فى الحكم . كانوا يتخذون من النسب العربى وسيلة لاعتلائهم الحكم والسبب الذى ألجأهم لذلك هو أن الدين الإسلامى والذى تعتز به القبائل الإفريقية ديناً ظهر فى بلاد العرب . فمن ينتسب إلى البلاد التى ظهر فيها الإسلام ، هو الذى يكون جديراً بالحكم فى نظرهم .

ويعتمد الزغاوة فى نسبتهم للقبائل العربية وجود مجموعة فى سوريا تسمى الزعبى ، ولهم شبه كبير بالزغاوة . كما توجد فى الكويت مجموعة تسمى الزغبى والزغبى .

أما الرأي الذى نميل إليه فهو أن الزغاوة قبائل حامية أفريقية اختلطت بالعديد من القبائل الأخرى ، أما الارتكان على وجود جماعة فى سوريا تسمى بهذا الاسم فيعود إلى زغب أحد فروع بنى هلال. والدليل الثانى أن كلمة زغاوة بلغة الطوارق معناها أهل برنو . أو الناس ذو الوجوه الفاتحة تمييزاً لهم عن القبائل ذات البشرة السوداء التى كانت تعيش حولهم فى منطقة الكانم والبرنو .

٢- قبائل البرقد :

هذه القبائل لها خاصية فريدة وهى أنها تتكوّن من عشائر وقبائل شتى حتى أن كلمة برقد معناها الشىء ذو الألوان المتعددة ، وقد انقرضت لهجتهم ولم يعد لهم وجود .

أما عن أصل البرقد فهم زنوج يشبهون فى تركيبهم الجسمانى وعاداتهم أهالى إفريقيا الوسطى . وقيل إنهم من قبائل النوبة المختلطة بالعرب ، ويعيش البرقد فى منطقة يحيط بها من ناحية الجنوب الغربى دار الداجو . ومن الجهة الجنوبية دار الرزيقات . ومن الشرق دار البرتى . ومن الشمال الشرقى فلاتة كتاله وشمالاً التنجر . وغرباً الفور .

وينقسم البرقد إلى قسمين ، وهما : كجر ، دالى . وتقسم كجر إلى تسعة أقسام وهى : مدقركى . سرندىكى . فرموم . كاموتة كلاودكى وهم يسمونهم مورقى . كما تنقسم أيضاً مجموعة الكجر إلى مجموعة عربية من بنى هلال وهم فرتوكنكى ، تبايغى وفيهم عنصر نوبى سكن جى وهم عنصر نوبى / هلالى . ترون شروكى عنصر نوبى / هلالى والمجموعة الثالثة من بطون قرقركى وينقسمون إلى أربعة قرقركى وهم بنو هلال . شيخ كى كندوكى . مرورقى .

٤- قبائل التنجور :

اختلفت الآراء حول أصول قبيلة التنجور ، فمنهم من يرى أنهم يعودون فى أصولهم إلى النوبيين ، وأنهم هاجروا خلال القرنين الخامس عشر ، والسادس عشر الميلادى . ورأى

آخر يرى أنهم من قبائل بني هلال العربية . ورأى يذكر أنهم من أصول بربرية ، وقد استطاعت هذه القبيلة تكوين دولة في شمال دارفور كانت معاصرة لدولة الداخو^(١) .

٥ - قبائل الفور :

من أهم القبائل التي تعيش في دارفور حتى أن اسم الإقليم مشتق منهم . وهم عبارة عن خليط من القبائل الإفريقية والعربية قَدِموا البلاد في حوالي القرن السابع الميلادي من منطقة النوبة ، ومن أشهر فروعهم الكنجارة ويعيشون شرق جبل مَرّة . والكراريت ويعيشون في جبل بمبي . والغزر ويعيشون في دار أبادها جنوب جبل مرة .

٦ - قبيلة الميلوب :

تسكن هذه القبائل في شمال شرق دارفور ، ويعودون في أصولهم إلى بلاد النوبة . وكانوا يتحكمون في طرق التجارة لوقوع بلادهم حول درب الأربعين .

٧ - قبائل القمر :

تعيش هذه القبائل في غرب دارفور . وتُعرف أراضيهم بدار قمر شمال بلاد المساليت . وكانت توجد مصاهرة بينهم وبين قبائل الفور ، وتحدث هذه القبائل اللغة العربية^(٢) .

٨ - قبائل التكرور :

شعب التكرور تقع بلاده الأصلية في منطقة غرب إفريقيا ، وهم شعب مسلم استطاع تكوين دولة إسلامية في غرب إفريقيا وهي سلطنة مالي والتي كان لها شهرة كبيرة ، حيث قام سلطانها منسا موسى بزيارة الأماكن المقدسة في الحجاز في رحلة اعتبرت أسطورة في البذخ والإنفاق^(٣) .

(١) التونسي : تشيخ الأذهان : ص ١٣٧ . وانظر رجب محمد عبد الحليم : مرجع سبق ذكره . ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق . ص ٣ .

(٣) عن امبراطورية مالي : انظر إبراهيم طرخان : مملكة مالي الإسلامي ، الهيئة العامة للكتاب .

ويعيش التكرور الآن في منطقة فوتا السنغالية ، وينتثرون أيضاً ما بين نهر النيجر وبحيرة تشاد ، وفي منطقة سكوتو . وهم أول القبائل الإفريقية التي اعتنقت الإسلام ، وهاجروا إلى دارفور وكردفان ، وسنار وكسلا . ويتحدث التكرور اللغة العربية كلغة تخاطب بينهم . ومن المعروف أن منطقة بولاق التكرور في مصر تتسبب إليهم ، حيث كانت منطقة تجمّعهم في مصر .

٩- الفلاتا :

هي قبائل حامية ، وتعرف بالفلاني وكانت تعيش في نيجيريا واختلطت بالقبائل العربية ، وهاجروا إلى منطقة دارفور منذ أزمّة بعيدة في عهد السلطان أحمد ، ويتكلمون اللغة العربية .

١٠- المساليت :

قبائل عربية اختلطت بالبربر . وتمتد بلادهم من وداي غرباً حتى دار صليح جنوباً . ومن دار قمر شمالاً حتى الفور شرقاً ويتحدثون لغة خاصة بهم^(١) .

ثانياً : المجموعات العربية :

يقطن إقليم دارفور كثير من القبائل العربية، والتي تسربت إلى هذه البلاد من الشمال الإفريقي مثل قبائل بني هلال . ومن مصر وبلاد النوبة . وقد اختلط العرب بغيرهم من القبائل الإفريقية عن طريق المصاهرة لدرجة أنك لا تستطيع التمييز بين ما هو عربي الأصل والإفريقي ، فالكل يتشابه في الملامح الجسدية وفي اللون . ومن أشهر القبائل العربية التي عاشت في إقليم دارفور :

١- قبيلة الرزيقات :

تعود أصول هذه القبيلة إلى جهينة . ويعتبرون من أغنى القبائل التي تعمل في تربية الماشية ، ولذلك يطلق عليهم لقب البقارة . ويتميزون بالكثرة العددية ، ويقال عليهم (ولاد رزيق هين التراب) كناية عن كثرة عددهم^(٢)

(١) التونسي : مصدر سبق ذكره . ص ١٢٦ .

(٢) المصدر السابق . ص ٨٥ .

وينقسم الرزيقات إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهم نائب جد النوايبة . ومحمود جد المحاميد . وماهر جد الماهرية . وتنقسم هذه الأقسام الرئيسية إلى العديد من الأقسام ، فالنوايبة ينقسمون إلى قسمين كبيرين وهما صمرة ، وحمول . وينقسم المحاميد . قسمين هما أحمد ، أم ضحية . ولكل فرع بطون وأفخاذ .

٢- التعايشة :

ينسبون إلى قبيلة جهينة . وهذه القبيلة لها امتدادات داخل تشاد وإفريقيا الوسطى ، وهم قحطانيو الأصل وجدهم الكبير اسمه أحمد تعيش . وينقسم التعايشة إلى قسمين وهما: العرج . والقلادة .

وينقسم العرج إلى أربعة عشر قسماً وهم : أولاد عمر . أولاد ثابت . أولاد زيد . أولاد مسلمة . الشوشة . النجمة . الضبابية . أولاد بحيرى . الدقايلة . البركاوى الشلوحي الحضرمى . أولاد أبو ملكة . الهدالين .

وينقسم القلادة إلى : الجبارات . أم دبدة . أولاد سنا . أولاد حميدان . أم لسعة . أولاد عباس . الجراحة . الفاطمية . المطيحية . الغزالين أولاد سعيد . أولاد أبى قدوم .

والنشاط الاقتصادي لقبائل التعايشة يعتمد على الزراعة والتجارة مع منطقة إفريقيا الوسطى وتشاد . ويدفعون ضريبة تجارية تسمى (الليغو) . وفي فصل الخريف يقومون بزراعة الدخن ، والذرة ، والبول السوداني ، والسمن .

وأشهر أماكن تركيزهم هي رheid البردى ، جفاوة ، طوال ، أبو رى . أبو اندتان وحرازة . والقناية . وقد جاء التعايشة من تونس مع الأعراب ودخلوا السودان وسكنوا وادى مليط ، ثم جاءوا الوادى تعايشة . أما ديارهم فتقع جنوب غرب ولاية دارفور .

٣ - المسيرية :

قدم المسيرية مع قبائل عربية في هجرات متتالية من الغرب . وبدأوا في الاستيطان بتشاد ، ثم اتجهوا للسودان . ولهم بعض الفروع في تشاد ويُعتبرون من أغنى القبائل في الثروة الحيوانية والزراعية .

وينقسم المسيرية إلى فرعين وهما : الحمر والزرق . وقد استوطنوا في منطقة جبل كرو بدارفور وهي منطقة استراتيجية حيث سهلت الدفاع عنهم ضد غارات قبائل البدو . وعاصمة المسيرية هي (نتيقة) . ويبلغ تعدادهم مائتي ألف نسمة .

ويبقى لنا في الحديث عن قبائل المسيرية أن نعرف أنهم ينقسمون كما قلنا في البداية إلى حمر وزرق . والحمر ينقسمون بدورهم إلى : الفلايتة . العجايرة . وينقسم الزرق إلى : العلاونة . العنينات . الزرق (السود) .

٤ - المعاليا :

ينسب المعاليا إلى قبيلة فزارة بني شيبان . ويرجعون في نسبهم إلى مضر بن نزار جد الرسول ﷺ وتعتبر هذه القبيلة صاحبة الفضل في نشر الإسلام في السودان . وقد دخلت هذه القبائل السودان عن طريق مصر لأنهم كانوا يسكنون في وادي العلاقي . وقد سكنوا في البداية جنوب دنقلة ، ثم رحلوا حتى وصلوا إلى منطقة كردفان .

ومن أهم بطون المعاليا الخوابير . وأم مكريم . وتعمل هذه البطون بتربية الإبل ويطلق عليهم الأبالة . وتنتشر هذه القبائل جنوب دارفور . كما يعيشون في شرق السودان وسط قبائل البشارية ، وفروع البجة . ويعيشون على ضفاف النيل الأبيض والأزرق في قرى شمال جبل الأولياء وشرق النيل .

كما تعيش مجموعة منهم غرب مدينة الفاشر عاصمة إقليم دارفور ، وتوجد منهم مجموعة تعيش شمال الفاشر . وسبب الانقسام هو التنافس على الزعامة والسلطة .

٣ - القبائل العربية في دارفور ودورها في الثورة المهدية

١ - الرزيقات والمهدية :

يعتبر شيخ الرزيقات والمسمى (مامبو) من قواد الثورة المهدية في السودان . حيث قام بمبايعة المهدي وعيّن أميراً على دارفور من قبَل المهدي . وخاض معارك كثيرة ضد الأتراك حيث هاجم حامية الأتراك في شكا ، وهزمهم في معركة أم وريقات .

وبعد وفاة المهدي رفض مامبو مبايعة الخليفة عبد الله التعايشي ، فقام الخليفة بإرسال كتب إلى قبائل المسيرية ، والرزيقات يعلن فيها عصيان مامبو ، واستطاعت هذه القبائل هزيمة مامبو . وألقوا القبض عليه وقتل .

٢ - التعايشة والثورة المهدية :

أيد التعايشة الثورة المهدية ، ويكفي أن خليفة المهدي عبد الله التعايشي منهم ، وقد تم تهجير الكثير من قبائل التعايشة لمؤازرة المهدية . ولذلك نجدهم منتشرين في أماكن مثل أم درمان ، والخرطوم ، الغضارف ، النيل الأزرق ، أبو حجار الرماش ، والحبلتين .

٣ - المسيرية والثورة المهدية :

كانت هذه القبائل من أشد مناصري المهدي . وقد أعلنوا عصيانهم على الأتراك وشنوا هجوماً على معسكر طيرة حميرة التركي وأبادوا كل من فيها من الجنود ، ولذلك أرسل الأتراك جيشاً ، ولكن قبائل المسيرية هزموهم مرة ثانية ، وكان المهدي يقول عنهم أنهم أبكار المهدي . وقال عنهم خليفته عبد الله التعايشي المسيرية بالنسبة لى كالشجرة الظليلة أُلجأ إليها وقت الهجرة .

